جامع السلطان قابوس .. يضم ثاني أكبر سجادة محاكة يدويا في العالم

في عام 1412 هـ 1992م أصدر جلالة السلطان قابوس بن سعيد تعليماته لإنشاء أكبر جامع في السلطنة.والهدف من إقامة هذا الجامع لا يقتصر على توفير مكان للصلاة والتعبد فحسب بل ليكون مركزًا للتفاعل مع روح الإسلام دينا وعلما وحضارة ومع نتاج تاريخه الأدبي والثقافي.

ان مبدأ إنشاء المسجد الجامع، توطد مع بداية التطور الحضاري الإسلامي مرافقا تاسيس مدنه العريقة، وهذه الجوامع مازالت تؤكد على اهميه هذا الصرح المعماري عبر العصور الإسلامية « ومنها الجامع الأموي في دمشق وجامع قرطبة في الأندلس وجامع سامراء في العراق وجامع القيروان في تونس».

ولطالما كانت عمارة هذه المساجد مقرونة بتاسيس المدارس والجامعات والتي لعبت دورا متفوقا في الارتقاء ببنية العلوم والمعارف الدينية والدنيوية والعلمية والفنية وتطورها في مراكز المدن الإسلامية.

وبناء على توجيهات صاحب الجلالة أوكلت مهمة إقامة مسابقة معمارية الى ديوان البلاط السلطاني بمسقط. وتم دعوة مستشارين عرب وعالميين للمشاركة في تقديم المخططات المعمارية لتصميم مشروع جامع السلطان قابوس الأكبر وكان ذلك عام 1413 هجري الموافق للعام 1993 ميلادي. وأرسى الاختيار على مقترح المهندس المعماري محمد صالح مكية بالاشتراك مع كواد ديزين Quad Design ومركزهم لندن ومسقط. ولقد جمع هذا المخطط بين أصالة العمارة الإسلامية ومقاييسها وبينها وبين الحداثة العالمية ومتطلبات البناء والتصميم العصرية والمستقبلية. وتم الشروع في بناء عمارة الجامع في عام 1415 هجرية « 1995 ميلادية». واستغرقت العمارة ما يزيد على ست سنوات من العمل المتواصل.

موقع الجامع

اختير موقع الجامع في ولاية بوشر على مقربة من الطريق الرابط من السيب الى قلب العاصمة مسقط بحيث يسهل الوصول اليه من ضواحي المدينة الممتدة ومركزها. كما إن الموقع على اتصال مباشر بالطرق السريعة والتي تربط مسقط بمدن وولايات منطقة الباطنة والداخلية. ويحد الجامع المستشفى السلطاني جنوبا وشارع السلطان قابوس شمالا، والشارع المؤدي الى غلا غربا بينما يمتد شرقا الى العمران السكني.

ويحتل الموقع مسافة ألف متر على طول شارع السلطان قابوس وبعمق 885 مترا من الشمال الى الجنوب. وقد تم تطوير وبناء مساحة إجمالية « بما فيها الشوارع والتشجير» قدرها 000.416 مترا مربعا.

المساحة

شيد مجمع الجامع على أرضية منسعة ومرتفعة عن سطح الموقع بمقدار 1.8 مترا. وفي هذا التخطيط إبقاء على المبدأ العماني السائد في رفع عمارة المساجد التقليدية القائمة في أحياء وقرى المدن القديمة عن مستوى العمارة السكنية او العامة « وايضا عن مستوى ارض الوديان والأموال».

مساحة أرضية المجمع تغطي ما يقرب من 40.000 مترا مربعا. ويقع المدخل الرئيسي للجامع عبر طريق الممر

الجنوبي الخاص بالموقع. حيث تبرز الواجهة الجنوبية للمجمع بتجردها الحجري المعبر دون ان توحي او تلوح بفضاءات الداخل وتقاسيم الأمكنة. وتؤدي ثلاثة معابر من منطقة الوصول الى ارضية المجمع عبر ثلاثة مداخل يلي كل منها صحنه الخاص والمرتبط بدوره بسلسلة عقود الرواق الجنوبي.

يقع المدخل المركزي وصحنه على المحور الأفقي للمخطط منتهيا بالمأذنه التي تقف حرة وشامخة وسط الرواق الشمالي على ارتفاع 9103 مترا او 300 قدم. وتجتمع ثلاثة اقواس منفصلة في تشكيل إيقاع الوصول من خلال أفق هذا المشهد المعماري. والى الشرق والغرب من المدخل الرئيسي يقع المدخلان الثانويان وجميعها تؤدي الى الصحن الخارجي الرحب للمجمع والمحيط بمباني الصلاة. ويمتد الصحن على مساحة 24.400 متر مربع منحصرا بين الأروقة الشمالية والجنوبية ويبقى منفتحا غربا حول جدار القبلة وشرقا على مدى الحديقة. ويشكل بلاط الصحن بداية ارضية حرم الجامع المفتوحة ويقع المصلى الرئيسي في شق الصحن الغربي. وهو مبنى ابعاده الخارجية «74.4 ×74.4 متر» بقبته المركزية التي ترتفع عن سطح البلاط بخمسين مترا والتي تشكل مع المئذنة الرئيسية المنظور المميز للجامع على مرأى من المدى المدني المفتوح. ويقع الى الشرق من المصلى الرئيسي مصلى النساء « ابعاده 18 × 3 متر» مشكلا امتداد للمصلى الرئيسي عبر الصحن الداخلي « ابعاده ×50 مترا» والمرتبط بصحن مدخل المصلى. وتحيط بالصحن الداخلي ومصلى النساء مجموعة من الأروقة المعقودة وست قباب تبرز على مداخل الواجهات.

المآذن

وتبدو الأروقة بمثابة سور أمين حول عمارة الجامع. إلا إنها تختفي بالمآذن التي ترسم حدود الموقع بارتفاعها الى 45 مترا والمؤدية بدورها الى الحدائق والمدرجات من جهة الغرب والشرق. مما يضفي طابع الانفتاح المعماري لفضاء المجمع وارتباطه بالنسيج المدني المحيط به بصريا.

وتجتمع المآذن الخمس في الجامع لترمز الى اركان الإسلام الخمسة. تشرف المئذنة الرئيسية وقبة المصلى بارتفاع كل منهما كعنصرين اساسين ضمن بيئة الجامع. وتتخلل الجدران البيضاء المهيبة مجموعة من الأقواس والكوات المفتوحة والصماء مع دعامات تستهل واجهة المصلى الرئيسي. وهذه الدعامات لها وظيفة إنشائية فضلا عن إنها ملاقف للهواء على غرار عناصر الأبراج المناخيه التقليدية والسائدة في العمارة المحلية. وللقبة غشاء مخرم متشابك منمق خطوطه بشعرية ذهبية. وتتجلى من خلال شفافية هيكل القبة الخارجية القبة الثانية المكسوة بقشرة من أحجار الفسيفساء الذهبية بأكملها.

أركان الصحن الداخلي ومصلى النساء محددة بمداخل تعلوها 6 قباب تم تبطينها من الداخل، على غرار سقف العقود المتصلة بها بزخارف من الفسيفساء الحجرية بنمط هندسي زخرفي.

وتقتصر تفاصيل عناصر الجدران الخارجية على تقاسيم الزخارف المحفورة بأنماطها الهندسية والورقية «النباتية» والآيات القرآنية المخطوطة بالثلث. وتتخلل الجدران الفتحات التي تشغلها شمسيات حجرية «نافذة» مؤلفة من لوح حجري مفرغ بزخارف هندسية ونباتية» بتقوش رفيعة تخترق صمت سطح الحجر.

وتزداد كثافة الزخارف ودقة إيقاعها تدريجيا مع الانتقال من فضاء عمارة الخارج الى داخل المجمع وحرمه. وفي جدران المصلى تعتلي شبابيك الزجاج اللون بتقاسيم هندسية ومورقة الشمسيات الحجرية متصدرة الواجهة الشمالية والجنوبية. بينما يقع تحتها وعلى ارتفاع خفيض من أرضية الصحن صف من الأقواس الصماء المحفورة بإطاراتها الناتئة والمرتدة عن سطح الجدار في عمق الحجر. ويحزم قمة جدران المصلى والصحن الداخلي شريط غني بالآيات القرآنية الكريمة بخط الثلث الممشوق. وكان هذا الزخم اللطيف من انسياب الخط بحروفه المنسوجة في الحجر يجمع بين تلاقي الجدران بالسماء.

الزخارف

تملأ الزخارف الإسلامية الهندسية أطر أقواس الأروقة والمتوجة بطنف « حزام او فرز» من السور القرآنية عند العقود. وطبيعة التشكيل الفني هذه تنتشر الى جميع أقواس المداخل الرئيسية حيث تتكاثف الآيات القرآنية، التي تم انتقاؤها نسبة لموقع المكان. والزخارف بحسب أهمية عناصر العمارة ومكانتها من حرم الجامع. أسماء الله الحسنى تحتل موقعها بين أقواس واجهات الأروقة «الشمالية والجنوبية وعلى جدران الصحن الداخلي ومدخل مصلى النساء الشرقي» وجميعها محفورة بالخط الديواني.

أما قاعدة المآذنة الرئيسية فتحتوي الواجهة الجنوبية منها على نص التكبير والدعوة الى الصلاة، فيما حفر اسم الجامع على واجهتها الشمالية عند المدخل بالإضافة الى الآيات القرآنية الكريمة التي تملأ الأقواس في كلا من الجهتين الشمالية والجنوبية.

وكتبت على الأوجه الثمانية لجميع المآذن التسابيح مع أسماء الله الحسنى بخط الثلث. ورصفت ارضية المجمع برمتها ببلاط الرخام بترتيب ونمط هندسي متناسق ابتداء من ممرات العبور الجنوبية والأروقة حتى مدرجات الحدائق. ولقد صمم قطع بلاط الصحن الخارجي والداخلي الرخامي بمقياس وحدة سجادة الصلاة.

وضعت هندسة الجنائن في خدمة حديقة صممت شرق المجمع مع امتداد التشجير الى جنوب الموقع، بما يقترن بمبدأ تصميم الحديقة الإسلامية. وفي نهاية الحديقة بنيت مقصورة بصحن وأروقة وإيوان في وسطها بركة «فسقية» رخامية بمجرى مياه «فلج» تربط المقصورة مع وسط الحديقة.

> ■ الهدف من إنشائه لايقتصر على الصلاة والتعبد فحسب بل ليكون مركزًا للتفاعل مع روح الإسلام دينا وعلما وحضارة

قاعة المصلى الرئيسية

يقع المصلى الرئيس في شرق الصحن الغربي بقبته المركزية التي ترتفع 50 مترا . و المنبر بارز في جدار القبلة من الرخام المنقوش على يمين المحراب. و قد وصل عدد قطع الفسيفساء المستخدمة في تزين المصلى الرئيس ما يقارب ثمانية ملاين قطعة، و مع إمكانية احتواء الصحن الخارجي للمانية آلاف مصل بالإضافة إلى الصحن الداخلي و الأروقة، فإن السعة الإجمالية للجامع تصل إلى إمكانية احتواء 20 ألف مصل و مصلية. و قد جهزت قاعة المصلى الرئيسية بوحدة إنتاج تلفازي تضم خمس كاميرات، و أحدث أنظمة الصوت لنقل الفعاليات من شعائر الصلاة و ندوات و محاضرات و تصويرها.

الجدران

جدران المصلى الرئيس تتوج بشرفات يتاصل طرازها في عمارة القلاع العمانية خاصة، و مسننات الشرفات في العمارة الإسلامية عموما، فيما يتميز جدار القبة بكوة المحراب البارزة في نتوئها عند الواجهة.

القبة المركزية

يوجد في المصلى قبة مركزية بارتفاع 50 مترا مزينة بالفسيفساء تتدلى منها ثريا تعد الأضخم حتى الآن. إذ ترتفع 14 مترا، و بقطر 8 أمتار و تزن 8 أطنان و يوجد بها 1122 شمعة. و القبة من الداخل محاطة بتصميمات مجسمة لها شكل مثلثات هندسية ضمن هيكل من الأضلاع و الأعمدة الرخامية المتقاطعة بأقواس مدببة مرصعة بجميع عناصرها بألواح من الخزف المصقول، و تاخذ الأضلاع الرخامية المقوسة و المعقودة هيكل القبة الكروي المزينة بالزجاج الملون، و يلف القبة شريط من الزخارف الكتابية يتضمن آيات قرآنية بخط الثلث بالوان جذابة. كما أن للقبة غشاء مخرما متشابكا منمقة خطوطه بشعرية ذهبية، و تتجلى من خلال شفافية هيكل القبة الثانية المكسوة بقشرة من احجار الفسيفساء الذهبية بأكملها.

السجادة

من مقومات المسجد السجادة العجمية التي تفرش بلاط المصلى بقطعة واحدة. تبلغ أبعادها أكثر من 60 × 70 مترا ، و تغطي مساحة 4263 مترا مربعا. و السجادة مؤلفة من 1700 مليون عقدة و تزن 21 طنا. إن رقة نسيجها الرقيع و تعقيده يعود إلى جودة عقدتها التي تصل إلى 40 عقدة في كل 6.5 سنتيمتر. و استغرقت صناعة السجادة و إنتاجها اربع سنوات، استغرق منها 15 شهراً لإعداد التصاميم ، و الخيوط، و الصباغة، و إقامة ورش الحياكة الخاصة بها. أما عملية الحياكة فبلغت مدتها 27 شهراً متواصلة تبعها فترة 5 أشهر في الإنهاء ، و القطع، و الغسيل التقليدي و عدد القطع المؤلفة للسجادة 57، إضافة إلى سجادة خاصة بالمحراب و المتصلة بها. و تمت عملية تجميع التوصيل و الحياكة لأطراف السجادة وحواشيها و ضبطها داخل قاعة المصلى ، و تمت حياكة السجادة في محافظة مشهد، ««الواقعة شرق ولاية خراسان في إيران» على أيدي 600 امراة محترفة تحت إشراف خبراء في تصميم السجاد و نسجه.

مصلى النساء

يوجد بالجامع مصلى للنساء مزخرف بالأحجار المصقولة و المنقوشة و المحفورة يدويا يتسع لأكثر من ثماني مئة مصلية. و يقع مصلى النساء خلف المصلى الرئيس عبر الصحن الداخلي ليشكل امتدادا للمصلى الرئيس، و المصلى مجهز بشاشة عرض لمشاهدة خطبة الجمعة و المحاضرات من قاعة المصلى الرئيسية

طريقة البناء

إنّ المسجد بُني منْ 300.000 طنّ منْ الحجر الرملي الهندي. والمصلّى الرئيسي «قاعة الصلاة» بنيت على شكل مربع «ابعاد خارجية 74.4 – 74.4 متر» مع قبة مركزية ترتفع إلى إرتفاع خمسين متراً فوق الأرضية، تعتبر القبة والمئذنة الرئيسية «90 متر». ومآذن أربع تحيط بالمسجد «45.5 متر» هي معالم المسجد البصرية الرئيسية. المصلّى الرئيسي يُمْكن أنْ يستوعب أكثر من 6.500 مُصلّي، بينما مصلّى النساء يُمْكن أنْ يحتمل 750 مُصلّي. الأرض المُعْتَمدة الخارجية يُمْكن أنْ تستوعب 8.000 مُصلّي وهناك فضاء إضافي متوفر في الفناء الداخلي والممرّات، جَعْل القدرة الكليّة بحدود 20.000 مُصلّي.

ثاني أكبر ثريا وسجادة محاكة يدوياً في العالم

الميزّة رئيسية للتصميم الداخلي للمسجد هو سجادةُ الصلاة التي تَغطي أرضية قاعة الصلاة. حيث تحتوي على 1.700.000 عقدة، و تزنّ 21 طنّ واستغرق إنتاجها أربع سنوات ويتجمّع تبريز الكلاسيكية والكاشان وتقاليد التصميم الأصفهاني من حيث اللون في الظلال المختلفة التي استعملتْ الأغلبيةُ عليه منْ الأصباغ النباتية التقليدية.

أما السجادة المحاكة يدوياً فهي الأكبر في العالم[بحاجة لمصدر]، أُنتجتْ بشركة سجادة إيران «آي سي سي» عن طريق طلب ديوان البلاط الملكي لسلطنة عُمان لتَغطية كامل أرضية قاعة الصلاة الرئيسية لمسجد السلطان قابوس الكبير في مسقط. تقاسُ السجادةُ على 70 × 60 امتار، وتَغطي 4.343 متراً من القاعة المربعة للصلاة كلها بواسطة قطعة واحدة.

إنّ الثريا فوق قاعة الصلاةُ يبلغ طولها 14 مترٌ. هي أيضاً ثاني أكبر ثريا في العالم بعد الثريا الأولى في مسجد الشيخ زايد في أبو ظبي، الذي فتح أبوابه في عام 2007 . بُني المسجد على موقع يحتل 416.000 متر مربّع ويمتدّ البناء لتَغطية منطقة منْ 40.000 متر مربّع. بُني المسجد الكبير حديثاً حيث افتُتحَ منْ قِبل سلطان عُمانَي في الرابع منْ مايو 2001.

الإضاءة

صممت مجموعة من الثريات « عددها 35 ثرية» خصيصا للمصلى الرئيسي مصنوعة من كريستال سواروفسكي ومعادن مطلية بالذهب. وتتدلى هذه حول قاعة المصلى من سقف الأروقة وعند جدار القبلة والمدخل الشرقي، وتتدلى الثريا المركزية من قمة طاسة القبة بقوام يبلغ طوله 14 مترا وقطر 8 أمتار. وهي تشمل 1122 مصباحا وتزن بهيكل فولاذها الصامد 8 أطنان.